The Palestinian Initiative for the Promotion of **Global Dialogue and Democracy.**
المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية

الرسم الكاريكاتيري في التغطية الإعلامية لاتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية

وحدة الرصد الإعلامي

حزيران
2007

بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي

مؤسسة فورد FORD FOUNDATION

فريق عمل وحدة الرصد الإعلامي:

منسق الوحدة: رُهام نمري

المحلل الإعلامي: محمد عبد ربه

منسقة المعلومات: آلآء كراجة

مساعدة إدارية: ناهد أبو سنينه

وحدة المراقبة: مي مصطفى، سائد كرزون، روان حمد، بلال لدادوة.

اللجنة التوجيهية لهذا التقرير:

د. حنان عشراوي، د. ليلي فيضي، خضر خضر، خليل شاهين، هشام عبدا لله، موسى قوس، عطا القيمري، عماد الأصفر، بيسان أبو رقطي.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لـــ "المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية– مفتاح".

ص.ب 69647 القدس 95908

هاتف القدس 5851842 2 972 – هاتف رام الله 2989490 2 972

فاكس القدس 5835184 2 972 – فاكس رام الله 2989492 2 972

بريد إلكتروني info@miftah.org

صفحة إلكترونية www.miftah.org

مقدمة

لم يكن الكاريكاتير في الصحف الفلسطينية الثلاث: "القدس"، "الأيام" و"الحياة الجديدة"، بمنأى عن التطورات الميدانية والسياسية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية وتحديداً قطاع غزة في الشهور الست الماضية، مع الإشارة والتنويه إلى أن فترة الرصد لرسومات الكاريكاتير تمت قبل سيطرة حماس على قطاع غزة.

بل يمكن القول أن رسومات الكاريكاتير التي نشرتها الصحف الثلاث في الفترة الواقعة من 1-1-2007 وحتى 31-3-2007 من العام الحالي رصدت واقعاً لم تلتقطه الأخبار وتقارير وكالات الأنباء التي اكتفت بالنقل المجرد لأحداث تلك الفترة وتطوراتها وتداعياتها، في حين عكست رسومات الكاريكاتير واقع تلك الفترة بمرارة ساخرة، عبرت عن نبض الناس الحقيقي إزاء قضايا عاشوها وعاصروها، وكانت مسبباً رئيسياً لقلقهم وخوفهم وغضبهم ورجائهم، سواء ما تعلق بالاقتتال الداخلي بين حركتي "فتح" و"حماس"، أو ما تعلق منه باتفاق مكة، وحكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت بموجب هذا الاتفاق.

وإذا كان البعض عرف الكاريكاتير بأنه "رصد الاعوجاج والتشوه الموجود في الطبيعة" أو أنه "فن المأساة الضاحكة" أو المضحك المبكي، فإن الكاريكاتير السياسي الفلسطيني في تلك المرحلة نجح في القيام بمهمته في الحث على نقد الواقع السياسي المحلي، وحتى الدولي الذي تعامل مع الحدث الفلسطيني بانتقائية وازدواجية.

ولأن في الكاريكاتير دائماً شيء من الحقيقة ورسالة للقارئ ليفهم الحدث وما وراءه، فقد اخترنا في وحدة الرصد الإعلامي في "مفتاح" أن نرصد عبر عديد من الرسومات الكاريكاتيرية التي نشرتها الصحف الثلاث "القدس" و"الأيام" و"الحياة الجديدة" أحداث الربع الأول من العام الجاري من اقتتال داخلي وفلتان أمني، وكذلك التطورات السياسية التي أعقبته وأبرزها اتفاق مكة، وحكومة الوحدة الوطنية.

وكان واضحاً لنا من خلال عملية الرصد تلك أن تغطية الكاريكاتير لتلك الأحداث في الصحف الثلاث، كانت أفضل كثيراً، وأصدق من حيث التعبير عن مجريات ما كان يحدث، فالكاريكاتير

أمكنه أن يستخلص الحدث الطاغي أو الجو العام السياسي الذي ساد على مدى الشهور الثلاثة الأولى من العام الجاري.

ولقد شدت هذه الأحداث الطاغية إليها رسامي الكاريكاتير في الصحف الثلاث، فتناولوها كلٌ وفق طريقته وفهمه لتداعياتها، وعكس كلُ رسم كاريكاتيري منطق صاحبه، وفكره ونظرته لتلك الأحداث، فجاء الرسم ناطقاً بما يفكر فيه المجموع العام بصمت وبسرائره.

آلية ومنهج رصد الكاريكاتير:

اعتمدت وحدة الرصد الإعلامي في متابعتها ورصدها لرسومات الكاريكاتير في الصحف الثلاث منهجية محددة قوامها:

1) توزيع رسومات الكاريكاتير في الفترة الممتدة من 1 كانون ثاني وحتى 31 آذار من العام 2007 على 3 موضوعات وقضايا رئيسية فقط وهي:

- ✓ الفلتان الأمني (الاقتتال الداخلي).
- ✓ اتفاق مكة.
- ✓ حكومة الوحدة الوطنية.

2) مراجعة تلك الرسومات في الصحف الثلاث، وتبيان الكيفية التي تناولت فيها رسومات الكاريكاتير أحداث تلك الفترة.

اختيرت رسومات الكاريكاتير الأكثر تعبيراً من موضوعات الرصد، بغض النظر عن هوية فنان الكاريكاتير، أو الصحيفة التي تضمنتها تلك الرسومات، فما يعنينا هو الكيفية التي عبرت فيها الرسومات عن الموضوعات الثلاثة آنفة الذكر.

الكاريكاتير والاقتتال الداخلي:

لقد واكبت الصحف الثلاث بإسهاب عبر تقاريرها وأخبارها الاقتتال الداخلي بين "فتح" و"حماس"، لكن متابعتها لتلك الأحداث عبر رسومات الكاريكاتير كان متميزاً، وبدا أكثر قرباً من قناعات المواطنين ومن نظرتهم لتلك الأحداث، خاصة حين كان فنان الكاريكاتير يكتفي بالرسم مستغنياً عن النص الذي عادة ما يُرافق رسمه، تاركاً للقارئ أن يقرر ماذا يريد هو من الكاريكاتير، وهل عكس ما يفكر به، أو ما يعيشه من أحداث.

مثال ذلك رسم كاريكاتيري نشرته صحيفة "القدس" للفنان ناصر الجعفري، لم يضمنه أي نص أدبي، بل ترك للقارئ يعلق عليه بنفسه.

الكاريكاتير نُشر في صحيفة "القدس" في عددها الصادر يوم 3-2-2007، يُظهر مقاتلان واحد من "حماس" يتخذ من خارطة فلسطين "الخضراء" ترساً يطلق من خلفه النار على مقاتل من "فتح" أيضاً يحمل خارطة فلسطين "الصفراء" يطلق النار أيضاً على مقاتل "حماس".

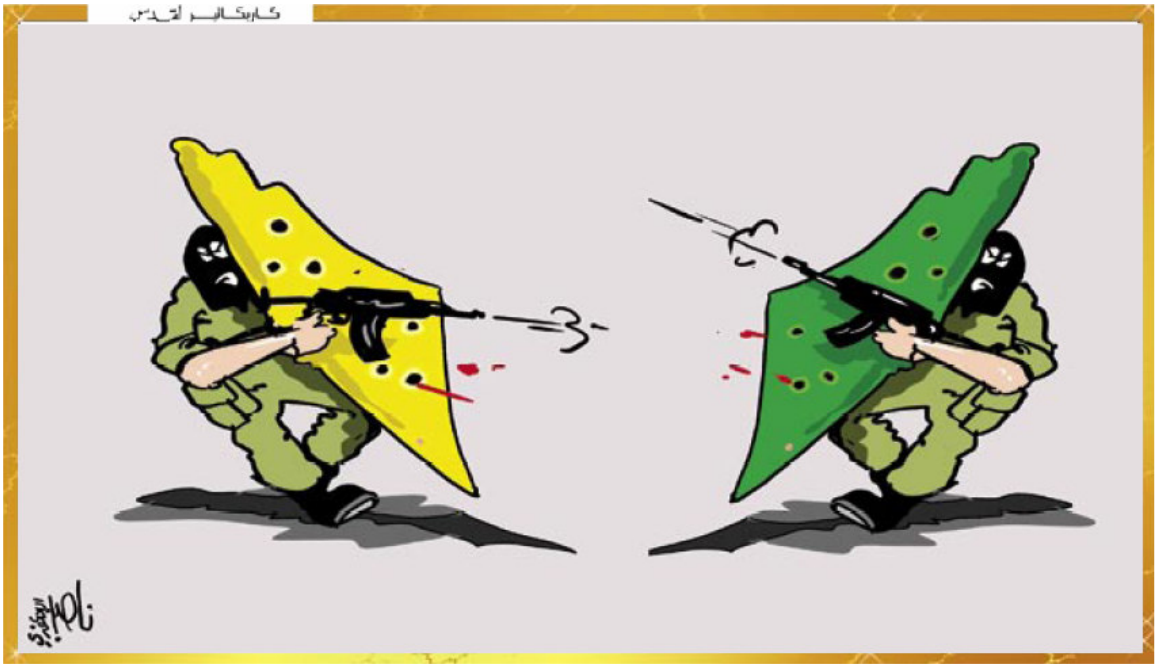

الفنان الجعفري، استغنى عن النص بتلوين الخارطة بلونين خارطة فلسطين الخضراء، وخارطة أخرى صفراء تعكسان الهوية التنظيمية والسياسية للمتقاتلين من "فتح" و"حماس"، ويذهب الفنان أبعد من ذلك في سخريته ونقده اللاذع للمتقاتلين، بالإشارة إلى ادعاءات كل منهما بأنه يقاتل من أجل فلسطين خاصته ولكنه يختبئ وراء فئويته متخذاً من فلسطين درعاً وغطاءً دون أن يدرك أنه يقضي على فلسطينيته، فالدلالات هنا قوية والتعبير بليغ، ويُغني عن كثير من التقارير والتحليلات.

من المفيد الإشارة هنا، إلى أن هذا النوع من الرسومات الكاريكاتيرية التي تستغني فيها عن النص الأدبي هي رسومات فائقة المهارة من الناحية الفنية والتعبيرية، ويتصدر هذا النوع غيره من أنواع الرسوم الكاريكاتيرية الأخرى.

في صحيفة "الحياة الجديدة" بعددها الصادر يوم 6-1-2007 نُشر كاريكاتير لأُمية جحا، عكس حالة من الإحباط والغضب للاقتتال وتأثيرات ذلك على المواطنين.

الكاركاتير يُظهر سجاناً إسرائيلياً يضحك يطل على نافذة سجن يقبع داخله أسرى فلسطينيون وقد كُتب التعليق التالي على لسان السجان:

"شتاكم طويل يا شباب اللي بدكم إياهم يحرروكم قاعدين بتناحروا".

في الواقع، فإن التعليق المتضمن للكاريكاتير سجل نبض العامة إزاء ما كان يحدث في غزة، إضافة إلى أنه خلط الأولويات الوطنية ومنها الإفراج عن الأسرى من السجون الإسرائيلية، ولعل هذا ما كان يحتاجه المواطنون وهم يتابعون أنباء ما يجري بغضب وحزن.

هذا النقد اللاذع للاقتتال الداخلي، والصراع بين "فتح" و"حماس" عكسه رسم آخر للفنان الجعفري في صحيفة "القدس" بعددها الصادر يوم 19-3-2007.

الرسم المذكور امتاز كسابقه بالاستغناء عن النص الأدبي، وكأن الفنان صاحب الرسم أراد أن يوصل لنا رسالة مفادها أن الواقع القائم لا يمكن التعبير عنه بالكلمات والنصوص بل هو واقع يتحدث عن نفسه بنفسه.

الكاريكاتير "مصافحة البنادق": بندقيتان كتب على الأولى "حماس" وعلى الثانية "فتح"، وقد خرجت من فوهتيهما يدان تتصافحان. ربما أراد الجعفري أن يقول لنا بأنها "استراحة المقاتل" أو هدوء "صوت الرصاص" في مرحلة تراوح فيها الاقتتال بين صعود حاد بلوغاً إلى الذروة، وهدوء أو هدنة تستريح فيها البنادق قليلاً، ويتلاشى صوت الرصاص، فيما تعكس اليدان المتصافحتان من فوهة البندقية خداعاً وغدراً يخفيه الجانبان المتقاتلان لبعضهما البعض.

إذن، فالجعفري رصد مرحلة عاشها الناس وعايشوا فيها القلق والغضب والحزن بصمت، في حين اختارت الفنانة أُمية جحا طريقاً آخر في التعبير عن شعورها بالغضب والفجيعة إزاء حدثين هامين رصدتهما في رسمها الكاريكاتيري المنشور في صحيفة "الحياة الجديدة" يوم 28-2-2007.

الحدثان هما: بلوغ الاقتتال ذروته بين "فتح" و"حماس"، ثم الحفريات الإسرائيلية أسفل المسجد الأقصى.

وتجاوز رسمها الكاريكاتيري في نقدها المتقاتلين بين "فتح" و"حماس" إلى نقد الواقع العربي عموماً الغارق في فساده وصمته إزاء ما يجري في فلسطين من "اقتتال الأخوة" وما يتعرض له المسجد الأقصى من تهديد نتيجة الحفريات الإسرائيلية.

الفنانة جحا استعانت في رسمها المذكور بالصورة و بالنص الأدبي معاً، للتعبير عما أرادت إيصاله للقاريء، فتضمن الرسم في جانب منه صورة رجل يحتسي الخمر لُونت بألوان العلم الأمريكي في إشارة إلى العالم العربي وصمته عما يجري في القدس – بينما تصدرت صورة امرأة فلسطينية تذرف دماً في إشارة على المسجد الأقصى، وعلى خلفية الصورتين كُتب التعليق الآتي: "على بال مين يللّي بتتذبح بالعتمة".

الفنانة جحا، حشدت في هذا الرسم الكاريكاتيري إذن الرسم والنص الأدبي واختارت اللهجة العامية للتعليق على جسامة وخطورة ما كان يجري، للوصول إلى أكبر عدد ممكن من المواطنين فهي نطقت بألسنة كثيرين كانوا شهوداً على ما يحدث، وربما تداولوا فيما بينهم النص توصيفاً للواقع الذي عاشوه وعايشوه.

في حين نشرت صحيفة "القدس" في عددها الصادر يوم 15-3-2007 كاريكاتيراً آخر يُظهر مواطناً في عيادة طبيب يفحصه وكتب التعليق التالي:
"كل ما قالوا قرب التوصل لحكومة وحدة بحس انو نزل وبا تتعركس بيطلع..هذا هو الضغط يا دكتور؟!"

هذا الكاريكاتير حمل رسالة على غاية من الأهمية، إذ رصد مشاعر المواطن العادي، وغضبه مما يجري، فنشره يُحسب لصالح الصحيفة التي يمكن أن تلعب دورا إيجابياً في تعزيز السلم الأهلي، ونشر ثقافة التصالح الداخلي والحث عليه، وتبني لغة الإجماع الوطني، بدل المساهمة في تأجيج المشاعر والتحريض على مزيدٍ من العنف بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

أما فنان الكاريكاتير بهاء البخاري، فعبر في صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 27-1-2007 عن رؤية مختلفة للواقع الدامي الذي تسبب عنه الاقتتال بين "فتح" و"حماس" ورصد تطوراً مهماً في تلك الفترة، ألا وهو "وثيقة الوفاق" التي وقعها الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية للخروج من دوامة الاقتتال بين "فتح" و"حماس".

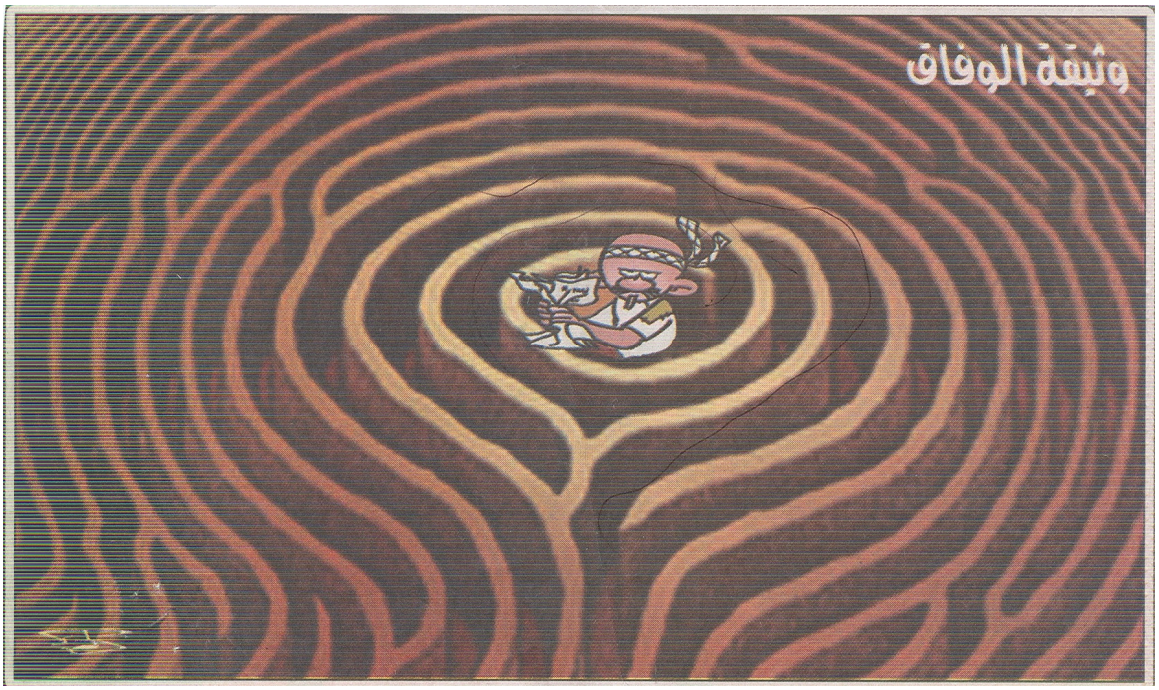

الفنان البخاري اكتفى بالإشارة إلى "وثيقة الوفاق" برسم كاريكاتيري ظهر فيه رجل في إشارة رمزية إلى الشعب الفلسطيني يقف وسط متاهة الاقتتال، ممسكاً بقبضة يديه "وثيقة الوفاق" دون أن يعلق أو يضيف أي نصوص أخرى، وكأنه يريد أن يقول أن "المخرج الوحيد" من دائرة الدم والاقتتال هو "وثيقة الوفاق" وهي التي تنقذ الجميع من واقعهم الذي يعيشونه.

هذه الرسائل التي تضمنتها رسومات البخاري، وجحا، والجعفري وصلت إلى القراء، وعوضت كثيراً خلل التغطية في تقارير تلك الصحف وأخبارها التي نقلت الأحداث مجردة من أي تحليل أو توضيح أو شرح.

وإذا كان الكاريكاتير رصد تطورات الفلتان والاقتتال والدعوات لوقفه، فقد رصد أيضاً خطورة هذا الاقتتال على مشروعات الاتفاق، والتقارب والسلم الداخلي، ما دفع بالفنانة أُمية جحا إلى تصوير الفلتان الأمني على شكل وحش ضخم بمخالب، يقف في طريق تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، في رسمها المنشور بتاريخ 20-3-2007 في صحيفة "الحياة الجديدة" بتاريخ 20-3-2007.

هذه المرة استعانت الفنانة جحا بالصورة دون أن تُكثر من النص الأدبي في إيصال الفكرة التي أرادت إيصالها للقاريء، ولم يكن اختيارها لطريقة الرسم وتصوير وحشية الفلتان عشوائياً، وتعمدت أن تُظهره بصورة أقدام ضخمة ومخالب، في مقابل صورة مصغرة للحكومة الجديدة وكأنها تُشير إلى التحديات الكبيرة التي تواجه عمل الحكومة وأخطرها الفلتان الأمني.

وفي صحيفة "القدس" الصادرة بتاريخ 17-1-2007 رصد لما عُرف ب "حرب الأنفاق بين "فتح" و"حماس" وقد تناولت هذا الموضوع الصحف الثلاث بتقاريرها وأخبارها من خلال النقل الإخباري للاتهامات المتبادلة، لكن الكاريكاتير المنشور في الصحيفة يحمل رسالة أخرى مفادها تحميل الطرفين المسؤولية عما يحدث عموماً.

الكاريكاتير أظهر متقاتلين واحد من "فتح" و آخر من "حماس" وقد كُتب التعليق التالي على لسان الطرفين المتقاتلين:

مين؟!! أبو أحمد؟!!

سلامات إلك وحشة يازلمة...

"حافرينه سوا"

فيرد عليه الطرف الآخر:

"و عليكم السلام... هلا أبو علي"

فالانفاق التي كانت تستخدم في المواجهة مع إسرائيل باتت تُستخدم للمواجهة الداخلية، في تلك الفترة التي شهدت اقتتالاً فلسطينياً داخلياً طغى على ما دونه من اهتمام عالمي بملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وانتقل اهتمام العالم إلى هذا الاقتتال، والدعوات العربية والدولية المنادية بوقفه.

في حين يعكس كاريكاتير آخر للفنانة أُمية جحا بوضوح أكثر تغير الصراع من فلسطيني-إسرائيلي إلى فلسطيني فلسطيني، وذلك في الرسم الكاريكاتيري المنشور في صحيفة "الحياة الجديدة"، يوم 4-2-2007.

لعبة الأطفال أمس ..بكل فخر
اليهود
العرب
لعبة الأطفال اليوم ..بكل أسف
عباس
فتح
أخيه جعا

الكاريكاتير يُظهِر في الصورة الأولى طفلان وقد حمل كل واحد منهما بندقية خشبية كُتب على إحداها "العرب" وعلى الأُخرى "اليهود" وعُنونت بالتعليق التالي: "لعبة الأطفال أمس..بكل فخر" في حين تُظهر الصورة الثانية طفلان أيضاً يحملان بندقيتين، كُتب على إحداهما "فتح" وعلى الثانية "حماس" وعُنونت الصورة بتعليق مفاده "لعبة الأطفال اليوم.. بكل أسف"

مع الإشارة إلى أن الصورة الأولى تتضمن العلم الفلسطيني مرفوعاً على سطح البنايات في إشارة للوحدة الداخلية، بينما تظهر أعلام صفراء وخضراء في إشارة إلى "فتح" و"حماس" والانقسام بينهما.

الكاريكاتير المذكور حمل في الواقع أكثر من رسالة ففِي حين يدعو إلى نبذ الاقتتال الداخلي ويُعرب عن أسفه لوقوعه، نجده في جانب آخر يمجد قتال الآخر ويفخر به، وقد يوحي للقارئ أيضاً بأن الحل لهذا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو حلٌ عسكري، ما يعني تكريس ثقافة الكراهية. مع أهمية الإشارة إلى أن استخدام الأطفال في هذا الكاريكاتير يعكس تأثر الطفل الفلسطيني بالصراع اليومي، وتأثيرات هذا الصراع عليه، وزجه في منظور عسكري، ما يمكن استغلال مثل هذه الصور في تشويه صورة الشعب الفلسطيني وتعامله مع الطفولة، مع الإشارة هنا إلى الكاريكاتير في الثقافة الشعبية عن لعبة يطلق عليها "عرب ويهود"، فالناس يستعملون كلمة "يهود" كناية عن الإسرائيليين، ولا تحمل هذه الإشارة أية موقف ديني، بل تعبر عن موقف سياسي.

الكاريكاتير: اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية:

رصد الكاريكاتير في صحف "القدس" و"الأيام" و"الحياة الجديدة"، مرحلة هامة من العلاقات الداخلية الفلسطينية تمثلت في اتفاق مكة وما أعقبها من مشاورات ومداولات لتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، وتتبع أيضاً معوقات تشكيل هذه الحكومة، وحالة الانتظار والترقب الشعبي التي سادت في تلك الفترة، فيما بدا أن مشاورات تشكيل الحكومة لم تفض إلى نتيجة، رغم ما صاحبها من زخم إعلامي.

فصحيفة "الحياة الجديدة" نشرت في عددها الصادر يوم 23-1-2007 رسماً كاريكاتيرياً، رصد تلك الحالة من الترقب والانتظار، استعانت فيه أيضاً بالنص الأدبي، وباللغة الفصحى. والنص عبارة مثل قالته العرب "لمن يقول ولا يفعل ولا يفي"

الكاريكاتير، أظهر رجلين يقفان خارج بوابة مغلقة كُتب عليها "محادثات حكومة الوحدة الوطنية"، وورد في النص على لسان أحد الرجلين: "إني أسمع جعجعة ولا أرى طحينا".

في تلك الفترة، كانت محادثات تشكيل حكومة الوحدة استغرقت وقتاً طويلاً، وتعثرت أكثر من مرة، وكَثر الحديث عن المعوقات، ما خلق حالة من الترقب بين المواطنين، ولأن الكاريكاتير في الغالب يصور المضمون ويوصله إلى الجمهور، فقد نجحت الفنانة جحا في التقاط تلك اللحظات والتعبير عنها بذات اللغة المتداولة بين الناس.

لهذا نجدها في كاريكاتير لاحق في "الحياة الجديدة" بتاريخ 27-1-2007 تعبر عن حالة السخط الشعبي إزاء المماطلة والتسويف التي واكبت تشكيل الحكومة، حيث صور الكاريكاتير "الشعب" وهو يوجه تحذيراً إلى مؤسستي الرئاسة والحكومة بقوله: "من الآخر..يا تحلوها يا تحلوا عنا".

وفي سياق إبراز التحركات الشعبية والأهلية المطالبة بالضغط على المتحاورين في مكة لإنجاز اتفاق بينهم ونشرت "الحياة الجديدة" كاريكاتيراً آخراً للفنانة أُمية جحا وفي عددها الصادر يوم 7-2-2007 حمل التعليق التالي:

"إلى مكة: إذا ما تصالحتوا وتوحدتوا ما ترجعوا"

كان هذا بالفعل ما يردده المواطنون عموماً وقد ضاقوا ذرعاً بما يحدث، فجاء الرسم الكاريكاتيري معبراً ومدعوماً بأدوات فنية، استندت إلى نص عكس حالة نفسية عبرت عنه أيضاً بالملامح، فيما يشير مصعد الطائرة إلى حوار في الخارج، لم يتحقق له النجاح في الداخل.

ولم يخل الكاريكاتير وهو يرصد تلك الفترة من السخرية والتندر على المستوزرين من حكومة الوحدة، وتناقلت وسائل الإعلام آنذاك أسماء عديدة لوزراء، وكان من الوارد أن يلتقط الفنان البخاري تلك الحالة على طريقته الخاصة، فرسم بكاريكاتيره المنشور في صحيفة "الأيام" يوم 2-3-2007 ركاب حافلة من الوزراء أو المستوزرين، أرفقه بنص جاء فيه "اللي مستعجل على التشكيل الوزاري، "يتفضل يدفش".

في الكلمتين الأخيرتين من النص "يتفضل يدفش" كان واضحاً ما هو مطلوب من الطرفين أو من الأطراف الفلسطينية عموماً حتى تتشكل الحكومة الجديدة، ليس أقل من التنازل عن حقيبة هنا وحقيبة هناك، وإلا فكيف ستتشكل حكومة الوحدة، وفيه دلالة أيضاً على أن دفش السيارة، أي الحكومة إشارة إلى خلل يمنع الانطلاق ذاتياً والوصول إلى هدفها.

آنذاك اشتد الخلاف على حقيبة "وزارة الداخلية" من يتسلم هذه الحقيبة: "فتح" أم "حماس"، ومن الوزير الذي ستعهد إليه؟ هل ستعهد إلى وزير من هاتين الحركتين؟ أم يتفق على مستقل لتوليها. بدا الاتفاق على هذه الحقيبة عائقاً أساسياً أمام إنجاز تشكيل الحكومة، على الرغم من الانتهاء من تشكيلة معظم وزرائها.

هذا ما عبر عنه كاريكاتير الفنان ناصر الجعفري في صحيفة "القدس"، في عددها الصادر يوم 11-3-2007، حيث أظهر الكاريكاتير صورة لحقيبة الداخلية تبدو ضخمة- إشارة إلى أهميتها- تنبثق من حقيبة حكومة الوحدة الوطنية، فالداخلية أصبحت محور وأساس الحكومة، باعتبارها مسؤولة عن وقف الفلتان الأمني وحفظ النظام.

خلافاً لرسوماته السابقة، لم يُضمن الجعفري هذه المرة رسمه الكاريكاتيري نصاً مكتوباً، بل بين سطور نصه كثير من الكلام يفهمه القاريء ويعيه، ولهذا عكست رسوماته اللاحقة، كم كان صعباً الخروج بحكومة جديدة، وتجميع صفوف وزرائها والإعلان عن تشكيلها.

وربما لم يبالغ الجعفري في رسم تلك المرحلة في كاريكاتيره المنشور في صحيفة "القدس"، يوم 18-3-2007، والذي يُظهر يداً تغرق تتعلق بقشة، وعنونه بالنص الآتي: "حكومة الوحدة

الوطنية"، في إشارة إلى أن هذه الحكومة هي الكفيلة بإنقاذ الشعب وتخليصه من الحالة التي وصل إليها.

فيما أبرز الفنان بهاء البخاري جانباً آخر من مرحلة ما قبل تشكيل الحكومة، عكست حالة الاستوزار والمنفعة الشخصية والذاتية لدى البعض، وقد عبر عنها بسخريته المعهودة.

ففي كاريكاتيره المنشور في صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 15-3- 2007، يُظهر البخاري أحد المرشحين للحكومة وهو يجمع تواقيع الدعم والثقة لترشحه، مكتفياً بالنص التالي: "بدي آخد ...ثقتكم".

وقبل ذلك بشهرين كان البخاري نشر كاريكاتيراً في صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 21-1-2007، بمضامين عكست المعوقات التي واجهت الوحدة الوطنية فيما بدا من النص توجيهه اتهاماً بالمسؤولية عما يجري من فلتان يعيق تحقيق تلك الوحدة إلى شخص بعينه وهو خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس".

الكاريكاتير يُظهر بطل كاريكاتير البخاري يحمل آله موسيقية عبارة عن "عود" وهو يخاطب زوجته بالنص التالي:
"علشان الوحدة الوطنية..لازم أغني"عالأوف مشعل" وفي كلا الكاريكاتيرين، فقد عكس البخاري لحظات سياسية هامة، والتقط بالنص وبالرسم واقعاً عايشه المواطنون الفلسطينيون بتفصيلاته بما حمل من ترقب وانتظار وقلق، بما تضمنه سخرية من واقع كان قائماً، فالفنان بلجوئه إلى التراث أظهر قدرة خلاقة على توظيفه في المعنى الذي أراده سواء من خلال استخدام الآلة الموسيقية وحتى النص الشعبي المغني "الأوف".

كان تشكيل حكومة الوحدة الوطنية سبباً لتفاؤل كثير من المواطنين، وكان مدعاة حرص منهم على ديمومة هذه الحكومة ونموها وازدهارها.

ولم يكن الكاريكاتير بعيداً أيضاً عن أحلام الناس وأمنياتهم، وعبر رساموه عن هذه الأحلام بصور مختلفة، إحداها الكاريكاتير المنشور في صحيفة "القدس" في عددها الصادر يوم 22-2-2007، للفنان ناصر الجعفري.

الكاريكاتير أظهر إمرأة فلسطينية- ربما رمز بها إلى الشعب وهي تسقي بالماء ثلاثة قوارير مزروعة بالورد كُتب عليها "حكومة وحدة وطنية".

إذن هو تفاؤل الفنان إزاء المستقبل، وتفاؤل الناس من حوله، وتسجيل بالرسم لأحلامهم وأمنياتهم، وإن كان هذا التفاؤل مبالغاً فيه، لكنه عكس واقعاً كان يأمله الناس.
والتقت مع هذا التفاؤل الفنانة أُمية جحا في رسمها الكاريكاتيري المنشور في صحيفة "الحياة الجديدة" يوم 18-3-2007، حين تشكلت حكومة الوحدة واختارت للإشارة إلى هذه الحكومة رسماً أظهرت فيه فتاة ارتدت ثوباً يحمل ألوان العلم الفلسطيني "الحكومة" وخلف تلك الفتاة حبال تحمل أعلاماً فلسطينية، وأعلام الفصائل، فيما بدا أنه مشهدٌ للعرس والاحتفال.

هذه المرة استعانت الفنانة جحا بالألوان لتعبر عن الحالة التي كان يعيشها شعبها، واكتفت بنص من كلمتين فقط " الحكومة الجديدة". وبدا تشكيل الحكومة عرساً فلسطينياً، تزينت به الحكومة.

في تلك الفترة سُجل تصعيد إسرائيلي نوعي، وكانت حدة هذا التصعيد تزداد كلما كثر الحديث عن اتفاق بين "فتح" و"حماس"، لعل أبرز مظاهره شروع الإسرائيليين بإزالة تلة المغاربة التاريخية التي تربط المسجد الأقصى بساحة البراق.

عندئذٍ بدأ اهتمام وسائل الإعلام المحلية بما يجري في القدس وبذات القدر ما يحدث في مكة من حوارات فلسطينية فلسطينية برعاية سعودية.

في تلك الفترة بدأت الصحف تثير تساؤلات من قبيل: "هل تسهم قداسة مكة في إخراج اتفاق يقدس الدم الفلسطيني ويحرم الاقتتال"
نشرت صحيفة "الحياة الجديدة" في عددها الصادر يوم 21-2-2007 رسماً كاريكاتيرياً للرسامة أُمية جحا يُظهر بيضة كبيرة كُتب عليها حكومة الوحدة الوطنية وقد خرج منها صوص، فيما تحاول وزيرة الخارجية الأمريكية رايس إعادته إلى داخل البيضة، في إشارة إلى موقف الحكومة الأمريكية من حكومة الوحدة، لم تضف الفنانة جحا أية نصوص أو تعليقات غير ما كُتب على البيضة، فالرسم يغني عن كثير من النصوص والتعليقات. وإن كان أهمها النقد اللاذع للسياسة والموقف الأمريكي وهو موقف يبدو أنه يناقض الطبيعة.

كما اختارت صحيفة "الحياة الجديدة" رسماً كاريكاتيرياً للفنانة أُمية جحا، يُظهر المعوقات والعراقيل الإسرائيلية والأمريكية أمام إقامة حكومة الوحدة الوطنية.

الكاريكاتير المنشور في "الحياة الجديدة" في عددها الصادر يوم 17-3-2007 يُظهر حافلة رُفع عليها علم العلم الفلسطيني، وأمام الحافلة حاجز وقف عليه جنديان أمريكي وإسرائيلي، ما يدل على التواطؤ الأمريكي مع إسرائيل وانحيازها الأعمى لما تقوم به، حتى حين يتعلق الأمر بالحواجز العسكرية وهي مشاهد مألوفة للفلسطينين.

لقد نجحت جحا، ومثلها الجعفري، والبخاري في رسوماتهم الكاريكاتورية في تجسيد المقولة القائلة بأن "الكاريكاتير عبارة عن مقال تحل الخطوط فيه محل الكلمات" وعصارة وتكثيف للتجربة يتحدى القارئ ويدعوه للمشاركة في الصياغة والتحليل والوصول إلى الاستنتاجات. ونُضيف على

هذه العبارة من طرفنا فنقول، بأن الكاريكاتير في صحفنا الثلاث رصد للقاريء من معلومات وحقائق ما لم ترصده تقارير تلك الصحف وأخبارها، ونجح في الوصول إلى القاريء وإقناعه، فيما لم تفلح الصحف في بلوغه.

الكاريكاتير والحصار السياسي والمالي:

وإذا كان الكاريكاتير في بلادنا نقد الواقع الاجتماعي والسياسي المحلي، فإن نقده هذا امتد إلى الواقع الإقليمي والدولي بحكم تأثير هذا الواقع وتداخلاته مع واقعنا المحلي، لذا وجدنا الحصار السياسي والمالي الذي فُرض على حكومة "حماس" وعلى الشعب الفلسطيني يجد تركيزاً له وحضوراً في رسومات الكاريكاتير تلك.

ففي صحيفة "الحياة الجديدة" الصادرة يوم 20-1-2007، رسم كاريكاتيري للفنانة أُمية جحا، عنونته بالنص الآتي:
"إسرائيل تفرج عن جزء من الأموال المستحقة للفلسطينيين". ويُظهر في السلطة يد إسرائيلية تحمل قطارة، فيما يبدو فلسطيني في إشارة إلى السلطة الوطنية تمد إناء لالتقاط قطرة واحدة من تلك الاستحقاقات".

كان هذا الكاريكاتير تعبيراً عن السياسة الإسرائيلية في التعامل مع الفلسطينيين وسلطتهم حين وضعت يدها على أموالهم من الضرائب، وتحكمت في مواقيت صرفها والإفراج عنها.

كان الحصار الاقتصادي آنذاك بلغ ذروته، ومع هذا الحصار لمسنا تشديداً في القيود المفروضة على التصرف حتى بالأموال الفلسطينية.

بينما نجد في كاريكاتير آخر للفنان الجعفري تعبيرات أوسع وأشمل لما أسماه ب "مسلسل الحصار" مكتفياً بالنص السابق.

ويظهر كاريكاتير الفنان الجعفري في صحيفة "القدس" في عددها الصادر يوم 1-3-2007 الشعب الفلسطيني- رمز له بصورة مواطن يرتدي كوفية- ملعقة ضخمة في فضاء مفتوح تحيط بها الأسلاك الشائكة يعد رزنامة الحصار يوماً بيوم.

لم يضف الجعفري أي تعليق على رسمه الكاريكاتيري غير كلمتين "مسلسل الحصار.." وترك للقاريء مهمة التحليل. وكان الواقع في حينه يعبر عن نفسه بنفسه، ففي ذلك الوقت اشتد الضيق الاقتصادي على المواطنين وزادت معاناتهم، وتضاعف معها أعداد الفقراء، وارتفعت نسبة البطالة إلى الدرجة التي بات المواطنون وتحديد فئات الموظفين يعدون أيام الحصار يوماً بيوم أملاً بانفراج قريب. فنياً وفق الفنان الجعفري في استخدام الملعقة للدلالة على استغلال الغرب للقمة العيش واستغلالها للحصول على تنازلات.

ومع الحصار المالي، كان هناك حصار سياسي من قبل المجتمع الدولي، حصار تواصل حتى مع تشكيل حكومة الوطنية، وما بدا أنه استجابة من قبل هذه الحكومة لشروط اللجنة الرباعية، ورغم ذلك استمر الحصار، واحتار الفلسطينيون في أمر المجتمع الدولي، وقد عبرت عن هذه الحيرة الفنانة أُمية جحا بكاريكاتير منشور في صحيفة "الحياة الجديدة" يوم 19-2-2007، عنونته بالنص الآتي:

"احترنا يا قرعة من وين نبوسك"

ويُظهر الكاريكاتير رجلين أحدهما فلسطيني نقل على لسانه النص المذكور أعلاه. أما الثاني فيرمز إلى الرباعية وقد أدارت ظهرها للفلسطينيين وسلطتهم. فالفنانة جحا وظفت "المثل الشعبي" في الحدث السياسي، وهو توظيف ناجح وذو دلالات.

كان واضحاً أن الكاريكاتير يُشير إلى ضغوط الرباعية التي لم تتوقف على الفلسطينيين مطالبة إياهم بمزيد من التنازلات. وهو ما عبر عنه الفنان ناصر الجعفري في كاريكاتيره المنشور

بصحيفة "القدس" يوم 24-2-2007، يُصور اللجنة الرباعية على هيئة قبضة يد ضخمة تقبض على فلسطيني بأصابعها الأربعة وتشدد الخناق عليه.

وبعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية يعود الجعفري ليجسد تلك المرحلة من الحصار السياسي الذي تواصل على تلك الحكومة، فيرسم كاريكاتيراً في صحيفة "القدس" يوم 20-3-2007، يُظهر حكومة الوحدة الوطنية على هيئة رجل يستعد للقفز عن سلسلة طويلة من الحواجز اللامنتهية.

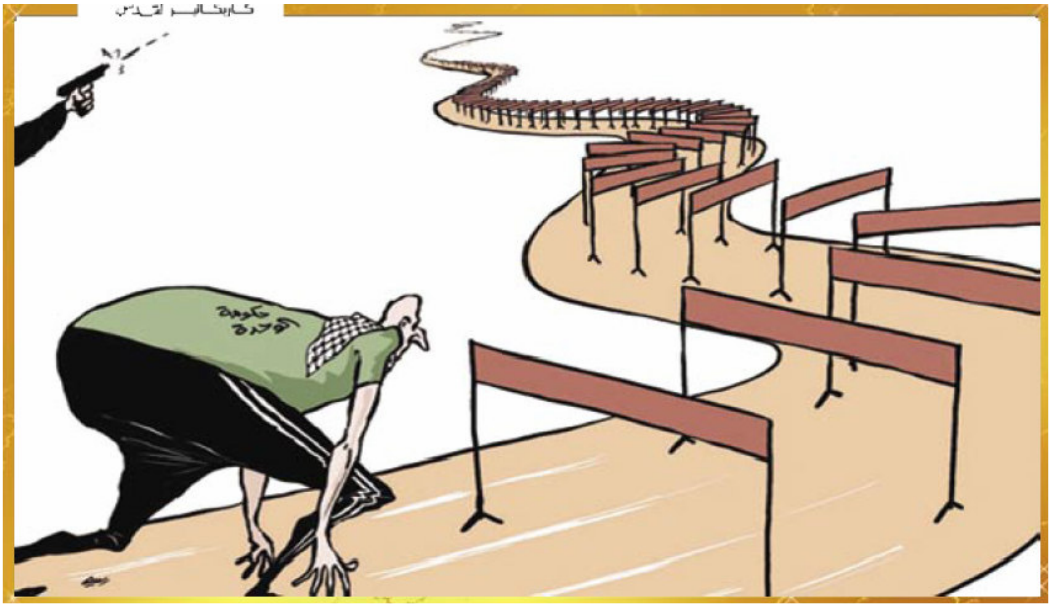

النتائج:

- عالجت الرسومات الكاريكاتورية بموضوعية وبجرأة وبصراحة، مرحلة هامة من تاريخ الشعب الفلسطيني، فرصدت تلك المرحلة بكامل تفصيلاتها وتعقيداتها بحيادية على صعيد العلاقات الداخلية، وبكثير من النقد والسخرية لواقع إقليمي ودولي كان له تأثيراته المباشرة على حياة المواطنين ومعيشتهم ومصيرهم.

- ساهمت رسومات الكاريكاتير- وإن اقتصرت على فنانين ثلاثة-في نقل صورة ورواية أخرى لأحداث هامة وخطيرة عاشها الفلسطينيون، خاصة الاقتتال والفلتان الأمني- غير الرواية التي كانت تبثها الأطراف المتقاتلة عبر تقارير وكالات الأنباء المكتوبة والمسموعة والمرئية، في حين جسدت الرسومات الكاريكاتيرية رواية "الإنسان العادي" ونظرتها ورؤيتها للأحداث كما هي بعيداً عن أي تجاذبات سياسية.

- لم نلحظ في رسومات الكاريكاتير ما يفهم منه تحريض أو إساءة، أو مس بالآخرين أو استهداف لحياة المدنيين وكانت الرسالة إنسانية بحتة تعبر عن واقع الناس كما هو، وتجسد ذلك حتى بالأدوات الفنية التي استخدمها الرسامون، ومضامين نصوصهم الأدبية وتعليقاتهم، وحتى حياديتهم التي ترسم صورة الواقع وتنقل للقاريء حقيقة ما يفكر به. باستثناء كاريكاتير واحد للفنانة أُمية جحا استخدمت فيه الأطفال في لعبة حرب، واستعانت ببعض النصوص التي قد يُفهم منها تمجيد الحرب.

التوصيات:

- من الأهمية بمكان أن تولي صحفنا المحلية الثلاث اهتماماً أوسع لهذا الفن، وأن تعطي مساحات إضافية لرسامي الكاريكاتير مع ضمان هوامش أوسع من حرية الرأي والتعبير. فإذا كان من حق المواطن أن يُعبر عن رأيه بمقال أو خاطرة من حقه أيضاً أن ينشر رسوماته الكاريكاتيرية طالما انه يملك الشروط اللازمة لذلك.

- على الجامعات والكليات ان تولي هذا الجانب اهتماما اكبر في مساقاتها التعليمية، وفي تدريسها لهذا الفن.

- وعلى مؤسسات المجتمع المدني هي الأخرى أن تساهم بطرقها في دعم من الكاريكاتير، وفي استقطاب كثير من المواهب الشابة والاستفادة من هذه القدرات وتلك المواهب في مطبوعاتها ونشراتها، وفي توفير التدريب اللازم لهؤلاء.

- تجميع ونشر الإنتاج الفني لرسومات الكاريكاتير، باعتبارها تجربة تعليمية واستفزازية تحث على التفكير، عدا عن كونها تنفيس بواسطة الضحك والسخرية.